

د / إيهاب سعود

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

أثر الخليل في نحو سيبويه

# اثر الخليل في فن السيويد

إيهاب سعود

## [١] مكانة الخليل العلمية

هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، أو الفرهودي؛ نسبةً إلى حيٍّ من الأزديين: إحدى قبائل اليمن. وُلِدَ في عمان حوالي سنة مائة للهجرة. وقدم البصرة وهو صغير مع والده، وبها نشأ وتربى. وتلقى الحديث والفقه من شيخه الأول: أبي أيوب السخيتاني، وعنه أخذ النُّسك والزهد. وتلقى القرآن واللغة والنحو من أبي عمرو بن العلاء، وأخذ النحو كذلك عن عيسى بن عمر الذي صنَّف في النحو بابين سماهما [الإكمال] و [الجامع]، وقد مدح الخليل هذين الب

ابن قائلاً:

بطل النحو جميعاً كله      غير ما أحدث عيسى بنُ عمرٍ  
ذاك إكمالٌ، وهذا جامعٌ      فهما للناس شمسٌ، وقمرٌ  
وهما بابان صاراً حكمةً      وأراحا من قياس ونظرٍ<sup>(١)</sup>

ولم يكتف الخليل بالنحو الذي أخذه عن أستاذه، وإنما رحل إلى بوادي نجد والحجاز وتهامة، وأخذ اللغة من منابعها الرئيسية، ويدل على ذلك أنه حين سُئِلَ عن مصدر علمه "فقال: من بوادي الحجاز ونجد وتهامة"<sup>(٢)</sup>. وكان الخليل - رحمه الله - يتمتع بالذكاء والفتنة وقوة الذاكرة، وسرعة البديهة؛ حتى قيل إنه كان يحفظ نصف اللغة.

ولللخليل إنجازات علمية عديدة؛ يُعدُّ كل منها نواة للعلوم اللغوية؛ ويمكن إجمال ذلك كالآتي:

١- الخليل واضع أول معجم عربي في التاريخ، وهو [معجم العين]. وقد اشتمل على جميع المفردات الممكنة نظرياً في اللغة، وأشار فيها إلى كل كلمة مستعملة أو مهملة عند العرب، ولكنه مات قبل أن يحشوه؛ فأكماله تلميذه الليث بن رافع؛ يقول أبو الطيب اللغوي: "وأبدع الخليل بدائع لم يُسبق إليها؛ فمن ذلك: تأليفه كلام العرب على الحروف في الكتاب المسمى بكتاب العين؛ فإنه هو الذي رتَّب أبوابه من قبل أن يحشوه"<sup>(٣)</sup>

(١) طبقات النحويين واللغويين - الزبيدي [أبو بكر محمد بن الحسن {ت ٣٧٩هـ}] - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - ط ٢ - القاهرة ١٩٨٤م: ص ٢٣، ٤٢

(٢) إنباه الرواة على أنباه النحاة - القفطي [جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف {ت ٦٢٤هـ}] - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - ط ١ - القاهرة ١٩٨٦م: ج ٢ / ٢٥٨

(٣) مراتب النحويين - أبو الطيب اللغوي [عبد الواحد بن علي {ت ٣٥١هـ}] - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار نهضة مصر - ط ٢ - القاهرة ١٩٧٤م: ص ٥٧

٢- ويُعدُّ الخليل أيضًا "واضع النحو العربي في صورته المركبة؛ سواء من حيث عوامله ومعمولاته الظاهرة والمقدرة، أو من حيث ما يجري فيه من شواهد، ومن علل وأقيسة، ونصَّ على العبارات المهملة والشاذة، وإحداث ما سرى فيه من تمارين غير عملية يُقصد بها إلى التمرين والتدريب، ومدد ذلك في علم الصرف والفقہ بأبنية الكلم واشتقاقها وتصريفها، وصورها الممدودة والمقصورة والمالة والمصغر، والمنسوبة، وما يُداخلها من قلب وإعلال"<sup>(٤)</sup>

ومن ثم "تتضح قيمة الخليل في تاريخ النحو العربي في أنه أكمل الأسس التي وضعها النحاة منذ أبي الأسود حتى أيامه؛ فهم الذين قاموا بعملية الاستقراء، ووضع الأصول، حتى إذا جاء ونظر فيما جمعه: حاول أن يكمل استقراءهم، ويُعمِّق أصولهم، ويفسِّر النظم تفسيرًا يقوم على ربط الظواهر ببعضها بعض والنظر إلى اللغة على أنها صرح محكم البنيان، منطقي التركيب"<sup>(٥)</sup>

٣- ومن إنجازاته أيضًا وضع علم العروض، ولولا وضعه إياه ما حفظ شعر الأولين من الاضطراب، وما لحق المولدون بالعرب في القدرة على قول الشعر موزونًا خاليًا من الخلل؛ يقول أبو الطيب اللغوي: "ومما أبدع فيه الخليل: اختراعه العروض التي حظرت على أوزان العرب، وألحقت المفحمين بالمطوعين"<sup>(٦)</sup>

والخليل بذلك يُعدُّ أول واضع لعلم الموسيقى، وقد أكد ذلك ج. ب. ترند: "ويقال: إن مخترع هذه الموسيقى هو فرانكو الكولوني. ولكن فرانكو هذا يتحدث عن الموسيقى المقيسة كشيء سبق أن عُرف، ويظهر أن الخليل بن أحمد عرفها قبل ذلك في القرن الثامن"<sup>(٧)</sup>

### كتاب سيبويه وسيلة لحفظ علم الخليل

لم يكتب سيبويه مقدمةً لكتابه، ولا ذكر أهدافه من تصنيف الكتاب، ولكن الروايات التي وردت عن بعض النحاة، وبعض مصنفي كتب الطبقات - تشير إلى أن سيبويه كان يهدف من تصنيفه الكتاب إلى حفظ علم أستاذه الخليل بن أحمد. وهناك أدلة عديدة على ذلك أبرزها:

١- الخليل بن أحمد أكثر أساتذة سيبويه حضورًا في كتابه؛ بل وأوفرهم حظًا في عدِّ آرائه، وأعظمهم نصيبًا ورصيدًا عند سيبويه. وقد أحصى الأستاذ على النجدي عدد مرات ذكر الخليل في الكتاب؛ فوجدها في نحو عشرين وخمسمائة موضع<sup>(٨)</sup>.

(٤) المدارس النحوية - الدكتور شوقي ضيف - دار المعارف - ط ٥ - القاهرة ١٩٨٣م: ص ٥٦

(٥) المفصل في تاريخ النحو - د/ محمد خير الحلواني - بدون دار نشر - ط ١ - بيروت ١٩٧٩م: ج ١/ ٢٦٣

(٦) مراتب النحويين ص ٥٨

(٧) انظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي [أعماله ومنهجه] - د/ مهدي المخزومي - دار الرائد العربي - ط ٢ - بيروت ١٩٨٦م:

ص ٦٥ نقلاً عن: تراث الإسلام ج ١/ ٣٤

(٨) انظر: سيبويه إمام النحاة - علي النجدي - بدون دار نشر - ط ٢ - القاهرة ١٩٧٩م: ص ١٠٢

٢- يُلاحظ أيضًا في الكتاب أن سيبويه لكثرة إفراطه في النقل عن الخليل - كان يُسقط ذكره، وينقل عنه كأنه يميل عليه مستخدمًا ضمير الغائب في كثير من الأحيان؛ فيقول: "وسألته" أو "قال...". وقد أكد ذلك السيرافي؛ إذ يقول: "والخليل أستاذ سيبويه، وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل، وكل ما قال سيبويه: وسألته، أو قال، من غير أن يذكر قائله؛ فهو الخليل" (٩).

٣- ومن أدلة ذلك أيضًا: ما رُوي أنه قيل ليونس بن حبيب: إنَّ سيبويه أَلَّفَ كتابًا في ألف ورقة من علم الخليل؛ فقال: أظنُّ هذا الغلام يكذب على الخليل؛ فقيل له: قد روى عنك أشياء؛ فنظر؛ فقال: صدق في جميع ما قال هو قولي" (١٠).

٤- وسيبويه كثيرًا ما يزاوج بين كلامه وكلام أستاذه، ويخلط آراءه بآرائه، وقد التفت إلى ذلك أبو الطيب اللغوي؛ إذ يرى أن سيبويه "أَلَّفَ كتابه الذي سمَّاه الناس قرآن النحو، وعقد أبوابه بلفظه ولفظ الخليل" (١١).

٥- وما يؤكد أن السبب الأقوى لتأليف الكتاب هو حفظ علم الخليل - ما رواه الزبيدي عن نصر بن علي بن نصر الجهضمي؛ قال: لما أراد سيبويه أن يؤلِّف كتابه؛ قال لأبي: تعال نحبي علم الخليل" (١٢) يتأكد مما سبق أن سيبويه حين أَلَّفَ كتابه كان يخشى ضياع علم الخليل؛ إذ الخليل كجُلِّ العلماء السابقين - لم يصنفوا كتبًا تحوي آراءهم العلمية، وإنما كانوا يُلقون دروسهم من محفوظهم؛ مما وعوه من أعراب البوادي، ويملن على طلابهم ما يحضرهم من التحليل والقياس على هذه النصوص، ويحاولون تخريج إعرابها ومعانيها. لذا يقول الدكتور مهدي المخزومي: "لم يترك الخليل لنا كتابًا خاصًا أَلَفَه بنفسه نقف منه على تفاصيل أقواله، وآرائه في المسائل النحوية المختلفة... وكل ما للخليل من أقوال جاءت على لسان سيبويه في كتابه" (١٣).

ورغم أن سيبويه حمل على عاتقه مهمة تدوين علم الخليل إلا أنه لم يقتصر على الدوران في فلكه؛ إذ كان سيبويه صاحب ذكاء ونظر؛ فلم يمنعه حبه لأستاذه من مخالفته في بعض آرائه، أو ترجيح آراء غيره عليها؛ فكان نموذجًا رائعًا لحرية الفكر والاعتداد بالرأي الذي يدعمه الدليل الأقوى من وجهة نظره؛ ولهذا نُسب إليه الكتاب، ولا يمكن إغفال جهده في تصنيفه وتبويبه وترتيبه على هذا النحو.

(٩) أخبار النحويين البصريين - السيرافي [أبو سعيد الحسن بن عبد الله {ت ٣٨٦هـ}] - تحقيق: فريتس كرنكو - بدون دار

نشر - د.ط - بيروت ١٩٣٦م: ص ٤٠

(١٠) السابق ص ٤٨

(١١) مراتب النحويين ص ١٠٦

(١٢) طبقات النحويين واللغويين ص ٧٥

(١٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي [أعماله ومنهجه] ص ٢١٩

[٢]

## تجلي الخليل في كتاب سيبويه

مما سبق يتأكد للبحث أن الخليل بن أحمد هو المرجع العلمي الأول لسيبويه في كتابه؛ إذ كان سيبويه أكثر تلاميذ الخليل ملازمة له، ولصوقاً به، وكان من أفهمهم وأوعاهم لعلمه. وكان الخليل يحبه ويقدمه على غيره، وإذا رآه استبشر وقال: "مرحباً بزائرٍ لا يُمل"، ويقال: إن الخليل لم يكن يُسمع يقول ذلك إلا لسيبويه<sup>(١٤)</sup>.

وعندما صنّف سيبويه كتابه؛ استحضر أمامه أقوال الخليل في كل مسألة، وبدأ بإدراج كل ما يجده منها في الموضوع الذي يستدعيه ويطلبه. لذا فمن يقرأ الكتاب يشعر فيه بأنفس الخليل وتجليه في كل باب من أبواب الكتاب. وقد لاحظ السيرافي ذلك إذ يقول: "وعامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل، وكل ما قال سيبويه: وسألته، أو قال، من غير أن يذكر قائله؛ فهو الخليل"<sup>(١٥)</sup>.

لذلك فهناك إجماع بين جل علماء اللغة؛ القدامى والمحدثين - على أن أصول الكتاب ومصادره مستقاة من معين الخليل؛ روى ابن النديم عن ثعلب قوله عن الكتاب: "الأصول والمسائل للخليل"<sup>(١٦)</sup>. ويؤكد ذلك أيضاً الدكتور المخزومي يقول: "وأقوال الخليل في الكتاب مبثوثة في جميع أبوابه؛ فلا نكاد نتقل من باب إلى آخر حتى نجد للخليل فيه رأياً؛ مما يدل على أنه قد عرض لجميع أبواب النحو المعروفة... وأن الخليل كان الموجّه لسيبويه في جميع الموضوعات، وإذا خالفه سيبويه فإنما يخالفه في الجزئيات، ولم يخالفه في الأصول إلا قليلاً جداً"<sup>(١٧)</sup>.

وقد أخذ تجلي الخليل في كتاب سيبويه أشكالا متعددة أبرزها:

١ - أن يرجع سيبويه للخليل في قضية ما بسؤاله عنها، ويذكر إجاباته عن مسألته؛ فمن ذلك مثلاً قوله في باب ما يحقر لدنوه من الشيء وليس مثله: "وسألت الخليل عن قول العرب ما أميلحه؛ فقال: لم يكن ينبغي أن يكون في القياس؛ لأن الفعل لا يحقر وإنما تحقر الأسماء؛ لأنها توصف بما يعظم ويهون، والأفعال لا توصف فكرهوا أن تكون الأفعال كالأسماء لمخالفتها إياها في أشياء كثيرة ولكنهم حقروا

(١٤) طبقات النحويين واللغويين ص ٣٩

(١٥) أخبار النحويين البصريين ص ٤٠

(١٦) الفهرست - ابن النديم - دار المعرفة - د.ط/د.ت - بيروت: ص ٧٦

(١٧) الخليل بن أحمد الفراهيدي [أعماله ومنهجه] ص ٢٢٢، ٢٢٣

هذا اللفظ وإنما يعنون الذي تصفه بالملح كأنك قلت: مليحٌ شبهوه بالشيء الذي تلفظ به وأنت تعني

شيئاً آخر نحو قولك يطوهم الطريق وصيد عليه يومان ونحو هذا كثير في الكلام" (١٨)

ومن ذلك أيضاً قوله: "وسألت الخليل عن قولك آتيك أصيلاً؛ فقال إنما هو أصيلاًً أبدلوا اللام منها وتصديق ذلك قول العرب آتيك أصيلاًناً. وسألته عن قول بعض العرب آتيك عشياناً ومغيرباناً؛ فقال: جعل ذلك الحين أجزاءً؛ لأنه حينٌ كلما تصوبت فيه الشمس ذهب منه جزءٌ؛ فقالوا عشياناً كأنهم سموا كل جزء منه عشيةً" (١٩)

٢- أن ينسب سيبويه القول إلى الخليل بقوله: "وزعم الخليل... " ومثال ذلك قوله: "وزعم الخليل رحمه الله أن رجلاً لو قال: أتميمٌ يريد أنت ويضميرها لأصاب، وإنما كان النصبُ ها هنا الوجه؛ لأنه موضعٌ يكون الاسمُ فيه معاقباً للفظِ بالفعل؛ فاختر فيه كما يختار فيما مضى من المصادر التي في غير الأسماء، والرفعُ جيدٌ؛ لأنه المحدثُ عنه والمستفهمُ، ولو قال: أعورٌ وذو نابٍ كان مصيباً" (٢٠)

ومن ذلك أيضاً قوله: "وزعم الخليل أن ناساً من العرب يقولون: لم أبله، ولا يزيدون على حذف الألف حيث كثر الحذف في كلامهم كما حذفوا ألف أحمر وألف علبط وواو غدٍ" (٢١)

٣- أن ينسب سيبويه قولاً إلى الخليل بقوله: "وقال الخليل..."، ومن ذلك قوله: "وقال الخليل - رحمه الله - كأنهم لما أضافوا ردوه إلى الأصل؛ كقولك: إن أمسك قد مضى. وقال الخليل - رحمه الله - وسألته عن يا زيد نفسه ويا تميم كلكم ويا قيس كلهم؛ فقال هذا كله نصب كقولك يا زيد ذا الجملة. وأما يا تميم أجمعون؛ فأنت فيه بالخيار إن شئت قلت: أجمعون وإن شئت [ قلت ] أجمعين ولا يتنصب على أعني من قبل أنه محال أن تقول أعني أجمعين" (٢٢)

ومن ذلك أيضاً قوله: "وقال الخليل - رحمه الله - من قال أكلوني البراغيث أجرى هذا على أوله؛ فقال مررتُ برجل حسنين أبواه، ومررتُ بقوم قرشيين أبأؤهم. وكذلك أفعل نحو: أعور وأحمر؛ تقول: مررت

(١٨) الكتاب - أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه - تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - د. ط - بيروت :

ج ٣ / ٤٧٧ - ٤٧٨

(١٩) السابق: ج ٣ / ٤٨٤

(٢٠) السابق: ج ١ / ٣٤٧

(٢١) السابق: ج ٤ / ٤٠٥

(٢٢) السابق: ج ٢ / ١٨٤

برجل أعور أبواه وأحمر أبواه؛ فإن ثبت قلت: مررت برجل أحمران أبواه تجعله اسمًا. ومن قال: أكلوني  
البراغيث قلت على حده قوله مررت برجل أعورين أبواه" (٢٣)

٤- وقد يذكر سيبويه قولاً، ثم ينسبه إلى الخليل، أو ينسبه إليه وإلى غيره من النحاة؛ فمن ذلك قوله في باب  
جمع أسماء الرجال والنساء: "اعلم أنك إذا جمعت اسم رجل؛ فأنت بالخيار إن شئت ألحقته الواو  
والنون في الرفع والياء والنون في الجر والنصب، وإن شئت كسرتة للجمع على حدّ ما تكسر عليه  
الأسماء للجمع. وإذا جمعت اسم امرأة؛ فأنت بالخيار إن شئت جمعته بالتاء، وإن شئت كسرتة على حدّ  
ما تكسر عليه الأسماء للجمع؛ فإن كان آخر الاسم هاء التأنيث لرجلٍ أو امرأة لم تدخله الواو والنون  
ولا تلحقه في الجمع إلا التاء وإن شئت كسرتة للجمع... والجمع هكذا في هذه الأسماء كثير وهو قول  
يونس والخليل" (٢٤)

ومن ذلك أيضًا قوله في باب الألقاب: "إذا لقبت مفردًا بمفرد أضفته إلى الألقاب، وهو قول أبي عمرو  
ويونس والخليل، وذلك قولك: هذا سعيد كرز، وهذا قيس قفة قد جاء وهذا زيدٌ بطة؛ فإنها جعلت قفة  
معرفة؛ لأنك أردت المعرفة التي أردتها إذا قلت: هذا قيسٌ" (٢٥)

(٢٣) السابق: ج ٢ / ٤١

(٢٤) السابق: ج ٣ / ٣٩٥ - ٣٩٦

(٢٥) السابق: ج ٣ / ٢٩٤ - ٢٩٥



### [٣]

## التأثير المنهجي للخليل في كتاب سيبويه

من خلال القراءة المتأنية لكتاب سيبويه تأكد للبحث مدى الدور الفعال الذي لعبه الخليل بن أحمد في رسم المنهج العلمي الذي سار عليه سيبويه؛ فالخليل هو الذي كوّن العقلية العلمية لديه، وسنّ حدودها، وأنهج طريقها؛ ويؤكد على ذلك الدكتور شوقي ضيف قائلاً: "ولا ينكر أحدٌ ما لسيبويه من إكمال في العلمين [النحو والتصريف] وتتميم، ولكن المهم أن واضح تخطيطهما ورأسم لوحتيهما إنما هو الخليل" (٢٦) ويمكن أن تتضح الخطوط العريضة لمنهج الخليل في العناصر الآتية:

### أولاً: نظرية العامل

لقد لعبت نظرية العامل دوراً خطيراً ومحورياً في علم النحو دراسةً وتقعيداً. كما أنها شغلت أذهان علماء النحو من أول وضعه، ثم شغلت الدارسين المحدثين إلى يومنا هذا. وبالرغم من أن مسائل الخلاف بين النحاة كثيرة ومتشعبة؛ حيث إن ابن الأنباري عدّ مسائل الخلاف النحوي بين البصريين والكوفيين؛ فبلغت مائة وإحدى وعشرين مسألة – إلا أنه لم يحدث اختلاف في نظرية العامل، أو العمل النحوي؛ هذه النظرية "التي بنيت عليها من قبل أصول النحو، واستقرت قواعده، وشغلت النحاة من لدن الخليل حتى يومنا هذا، وملأت مئات الكتب النحوية؛ خلافاً وفلسفة، وجدالاً؛ بل تمثلت لها فلسفة خاصة أفردت بالتأليف" (٢٧).

وقد نشأت نظرية العامل عند النحاة الأوائل قبل الخليل، ولكن الخليل هو الذي طوّرها ونهّأها بعد أن ثبتت جذورها، ورفع قواعدها وأركانها؛ يقول الدكتور شوقي ضيف: "كلُّ مَنْ يقرأ كتاب سيبويه؛ يرى رأي العين أن الخليل هو الذي ثبت نظرية العامل، ومدّ فروعها، وأحكمها إحكاماً بحيث أخذت صورتها التي ثبتت على مرّ العصور؛ فقد أرسى قواعدها العامة ذاهباً إلى أنه لا بد مع كل رفع لكلمة أو نصب أو خفض أو جزم من عامل يعمل في الأسماء والأفعال المعربة ومثلها الأسماء المبنية" (٢٨).

والعامل عند الخليل لفظي أو معنوي<sup>٢٩</sup>، واللفظي إما ظاهر وإما مقدر. والخليل عند تحليله للنصوص يقلبها على أوجهها المختلفة من الإعراب والتأويل، ويخرّجها تخرجات دقيقة تبين مدى رهافة حسه وتدوقه

(٢٦) المدارس النحوية ص ٣٤

27 إحياء النحو - إبراهيم مصطفى - طبعة لجنة التأليف - القاهرة ١٩٥٩م: ص ٩٤

(٢٨) السابق ص ٣٨

29 فقد قسّم عبد القاهر الجرجاني العوامل قسمين:

الأول عوامل لفظية: وهي تنقسم إلى:

١ - العوامل اللفظية السماعية:

وهي عبارة عن ما سمع من أفواه العرب، ثم نقل إلينا. وهذا النوع من العوامل لا يقاس عليها غيرها؛ كحروف الجر، والحروف المشبهة بالفعل؛ فعلى سبيل المثال الباء وأخواتها تجر الاسم؛ فليس لك أن تتجاوزها وتقيس عليها غيرها. وعدد هذا النوع من العوامل عدده الجرجاني واحداً وتسعين عاملاً، موزعة على ثلاثة عشر نوعاً كالآتي:

النوع الأول: ويشمل الحروف التي تجر الاسم، وهي سبعة عشر حرفاً كالآتي:  
(من - إلى - في - اللام - رب - على - عن - الكاف - مذ، ومنذ - حتى - واو القسم - تاء القسم - باء القسم - حاشا، خلا، عدا).  
النوع الثاني: ويتضمن الحروف الناسخة التي تنصب الاسم وترفع الخبر؛ وهي ستة أحرف:  
(إن - أن - كأن - لكن - ليت - لعل).

النوع الثالث: ويشمل حرفان يرفعان الاسم وينصبان الخبر؛ وهما:  
(لا - ما) المشبهان بليس.

النوع الرابع: ويشمل سبعة أحرف تنصب الاسم المفرد فقط وهي:  
(الواو [بمعنى مع] - إلا [للاستثناء] - يا - أي - هيا - أيا - الهمزة [في النداء])  
النوع الخامس: ويتضمن هذا النوع الحروف التي تُعمل النصب في الفعل المضارع، وعدتها أربعة أحرف كالآتي:  
(أن - لن - كي - إذن)

النوع السادس: ويشمل الحروف التي تُعمل الجزم في الفعل المضارع وهي خمسة أحرف:  
(إن - لم - لما - لام الأمر - لا الناهية)

النوع السابع: ويضم الأسماء التي تنصب أسماء نكرة على التمييز، وهي أربعة أسماء هي:  
(عشرة [إذا ركبت مع الأعداد من اثنين إلى تسعة] - كم - كأين - كذا)  
النوع الثامن: وهو عبارة عن كلمات تسمى بأفعال؛ بعضها يعمل الرفع، وبعضها يعمل النصب، وهي تسع كلمات كالآتي:  
أسماء الأفعال التي تعمل النصب وهي ست كلمات هي:  
(رويد - بله - هاء - دونك - عليك - حيهل)

وأسماء الأفعال التي تعمل الرفع هي: (هيها - شتان - سرعان).

النوع التاسع: يشمل الأفعال الناقصة التي ترفع الاسم وتنصب الخبر وهي ثلاثة عشر فعلاً وهي كالآتي:  
(كان - صار - أصبح - أمسى - أضحى - ظل - بات - ما زال - ما برح - ما فتئ - ما انفك - ما دام - ليس)  
النوع العاشر: أفعال المقاربة وهي ترفع اسماً واحداً؛ وهي أربعة أفعال:  
(عسى - كاد - كرب - أو شك)

النوع الحادي عشر: ويشتمل على أفعال المدح والذم، وهي ترفع الاسم المعرف بلام التعريف، وبعده اسم مرفوع يسمى المخصوص بالمدح أو الذم، وهي أربعة أفعال:

(نعم - بئس - ساء - حبذا)

النوع الثاني عشر: ويشمل أفعال الشك واليقين وتسمى أفعال القلوب، وهي سبعة أفعال كالتالي:  
(علمت - رأيت - وجدت [وهذه الثلاثة لليقين] - ظننت - حسبت - خلت [للك]، وزعمت [وهي متوسطة بين الستة])  
٢- العوامل اللفظية القياسية: وهي سبعة عوامل كالآتي:

١-	الفعل [على الإطلاق]	٢- اسم الفعل
٣-	اسم المفعول	٤- الصفة المشبهة
٥-	المصدر	٦- الاسم المضاف
٧-	الاسم التام	

الثاني: العوامل المعنوية:

ويشمل هذا النوع من العوامل نوعين فقط هما:

١- العامل في المبتدأ والخبر.

٢- العامل في الفعل المضارع الرفع. [انظر: أصول النحو العربي ص ٢٤٥ - ٢٤٧] [انظر: العوامل المائة النحوية في

أصول علم العربية لعبد القاهر الجرجاني "ت ٤٧١هـ" شرح خالد لأزهري "ت ٩٠٥هـ" ص ٨٧ العوامل اللفظية، والعوامل المعنوية ص ٣١٢]

للغة؛ يقول الدكتور شوقي ضيف: "ومما يتصل بالعوامل والمعمولات كثرة تحليله للعبارات، وكثرة تخريجه لها إذا اصطدمت بالقواعد، وكثرة إدلائه بوجوه مختلفة من الإعراب في لفظة واحدة" (٣٠)

العامل النحوي إذن هو عبارة عن "كل ما أوجب آخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب" (٣١). وكانت بدايات ظاهرة العمل النحوي حينها لاحظ النحاة تعاقب علامات الإعراب على آخر الكلمة العربية؛ فحاولوا البحث عن سبب لهذا التأثير الحادث بين أجزاء الجملة؛ فالإنسان بطبيعته ينزع إلى التعليل ويلجأ إلى ربط الظواهر بعضها ببعض من أجل الإدراك والفهم.

يقول الخليل: "وقال الشاعر:

أصبحت لا أحمل السلاح ولا ... أملك راس البعير إن نفرا  
والذئب أخشاه إن مررتُ به ... وحدي وأخشى الرياح والمطرا  
نصب (الذئب) على أن أضمر أخشى الذئب ليكون الفعل عاملاً كما كان أولاً" (٣٢)

وقد تأثر سيبويه بنظرية العامل وقد تجلّى ذلك في مواضع عديدة من كتابه؛ ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله: "هذا باب ما يَعْمَلُ فِيهِ الْفِعْلُ فَيَتَنَصَّبُ وهو حالٌ وقع فيه الفعل وليس بمفعولٍ كالثوب في قولك كسوتُ الثوب وفي قولك كسوتُ زيداً الثوب" (٣٣) وقوله أيضاً: "هذا باب ما يَعْمَلُ الْفِعْلُ ولم يَجْرِ جَرَى الْفِعْلِ ولم يَتِمَّ كُنْهَ وَذَلِكَ قَوْلُكَ مَا أَحْسَنَ عَبْدَ اللَّهِ" (٣٤)

يقول سيبويه في موطن آخر: "قولك ضربتُ وَضَرَبْتَنِي زَيْدٌ وَضَرَبْتَنِي وَضَرَبْتُ زَيْدًا تَحْمِلُ الْاسْمَ عَلَى الْفِعْلِ الَّذِي يَلِيهِ؛ فَالْعَامِلُ فِي اللَّفْظِ أَحَدُ الْفَعْلَيْنِ وَأَمَّا فِي الْمَعْنَى فَقَدْ يُعْلَمُ أَنَّ الْأَوَّلَ قَدْ وَقَعَ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُعْمَلُ فِي اسْمٍ وَاحِدٍ نَصَبٌ وَرَفْعٌ" (٣٥)

يتضح مما سبق مدى ارتباط العامل النحوي بالإعراب وعلاماته في عروة وثقى لا انفصام لها، وذلك في وقت مبكر من حياة علم النحو، ويؤكد ذلك سيبويه في أول كتابه إذ يقول: "وإنما ذكرت لك ثمانية مجاز؛ لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل، وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه وبين ما يبني عليه الحرف بناءً لا يزول عنه غير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل التي لكل عاملٍ منها ضرب من اللفظ في الحرف" (٣٦).

ومن هنا تبين للنحاة أن التركيب النحوي في أي نص ما، وليكن القرآن الكريم ليس جمعاً آلياً للمفردات؛ بل هو عبارة عن تشكيل تعبيرى متفاعل يؤثر بعضه في بعض قبل أن يؤثر في المتلقي، وتتسرب بين عناصره

(٣٠) المدارس النحوية ص ٤٢، ٤٣

31 المصباح في علم النحو ص ٦١

32 الجمل في النحو ص ١٣٣

(٣٣) الكتاب ج ١ / ٤٤

(٣٤) السابق ج ١ / ٧٢

(٣٥) السابق ج ١ / ٧٣ - ٧٤

36 الكتاب ج ١ / ٣

التركيبية ومضات من التجاوب والتعاطف حتى يكون وحدة واحدة حيوية متكاملة للدلالة على الهدف المقصود من النص.

### ثانياً: التأويل

عندما يثبت النص يجب قبوله، ولو تعارض ظاهرياً مع قواعد اللغة هذا هو مذهب الخليل الذي احتذاه من بعده تلميذه سيبويه؛ يقول الدكتور شوقي ضيف: "كما كان يُكثر من التأويل والتخريج حين يصطدم ببعض القواعد التي يستظهرها، وهو في تضاعيف ذلك يحلل الألفاظ والكلام تحليلاً يعينه على ما يريد من توجيه الإعراب ومن التأويل والتفسير" (٣٧)

وقد لا حظ ذلك أيضاً الدكتور المخزومي؛ يقول: "وظاهرة التأول مبثوثة في مواضع كثيرة مما نقله سيبويه عنه متمثلة... في قوله [كأنه قال كذا وكذا] أو غير ذلك من التعبيرات التي يقصد بها إلى تأويل محذوف أو تأويل معنى بجملته؛ تضمنته عبارة أو جملة" (٣٨)

ومن أمثلة ذلك أن سيبويه سأله عن قوله تعالى: ﴿ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٣٩)؛ في قراءة من قرأها بالكسر؛ فقال سيبويه: "ما معناها أن تكون كقولك وما يدريك أنه لا يفعل؛ فقال: لا يحسن ذا في ذا الموضوع إنما قال: وما يشعركم ثم ابتداء فأوجب؛ فقال: إنها إذا جاءت لا يؤمنون. ولو قال: وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون كان ذلك عذراً لهم، وأهل المدينة يقولون: أنها؛ فقال الخليل: هي بمنزلة قول العرب أتت السوق أنك تشتري لنا شيئاً أي لعلك فكأنه قال: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون" (٤٠)

### ثالثاً: الافتراض

لم يكتف الخليل بتحليل النصوص اللغوية وقياس نظائرها عليها في اللغة؛ بل وسَّع الأمر، وجعل يقيس - وخصوصاً في علم التصريف - على ما بنته العرب مما لم تبين منه على مثاله. وقد أولع سيبويه بهاته التمارين العقلية في كتابه وتوسع فيها. يقول الدكتور شوقي ضيف: "وفي رأينا أن الخليل وتلميذه سيبويه هما اللذان فتحا باب التمارين غير العملية على مصراعيه؛ حيث نرى سيبويه يتوقف في كتابه مراراً؛ ليسأله أستاذه عن تطبيق قاعدة في مثال لم يأت عن العرب... فمن ذلك ما ذكره سيبويه من أنه سأل الخليل عن رجل سُمي [أولو]... أو سُمي [ذوو] من قولهم: ذوو عزة، وكيف يجري إعرابها حسب مواقع الكلام؛ فقال: أقول: هذا ذوون، وهذا أولون؛ لأنني لم أضف.. وإنما ذهبت النون في الإضافة" (٤١)

كما سبق يتأكد للبحث مدى أهمية فكر الخليل بن أحمد في كتاب سيبويه الذي يُعد أقدم كتاب يصلنا في علم النحو.

(٣٧) المدارس النحوية ص ١٠٠

(٣٨) الخليل بن أحمد الفراهيدي [أعماله ومنهجه] ص ٢٦٠

(٣٩) [الأنعام: ١٠٩]

(٤٠) الكتاب ج ٣ / ١٢٣

(٤١) المدارس النحوية ص ٥٥. وانظر الكتاب ج ٢ / ١٨١

## المصادر والمراجع

١. إحياء النحو - إبراهيم مصطفى - طبعة لجنة التأليف - القاهرة ١٩٥٩م:
٢. أخبار النحويين البصريين - السيرافي لأبو سعيد الحسن بن عبد الله {ت ٣٨٦هـ} - تحقيق: فريتس كرنكو - بدون دار نشر - د.ط - بيروت ١٩٣٦م
٣. إنباه الرواة على أنباه النحاة - القفطي [جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف {ت ٦٢٤هـ}] - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار الفكر العربي - ط ١ - القاهرة ١٩٨٦م
٤. الخليل بن أحمد الفراهيدي [أعماله ومنهجه] - د/ مهدي المخزومي - دار الرائد العربي - ط ٢ - بيروت ١٩٨٦م انظر: سيبويه إمام النحاة - علي النجدي - بدون دار نشر - ط ٢ - القاهرة ١٩٧٩م
٥. طبقات النحويين واللغويين - الزبيدي [أبو بكر محمد بن الحسن {ت ٣٧٩هـ}] - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - ط ٢ - القاهرة ١٩٨٤م
٦. الفهرست - ابن النديم - دار المعرفة - د.ط/ د.ت - بيروت
٧. الكتاب - أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه - تحقيق عبد السلام محمد هارون - دار الجيل - د.ط. بيروت
٨. المدارس النحوية - الدكتور شوقي ضيف - دار المعارف - ط ٥ - القاهرة ١٩٨٣م
٩. مراتب النحويين - أبو الطيب اللغوي [عبد الواحد بن علي {ت ٣٥١هـ}] - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم - دار نهضة مصر - ط ٢ - القاهرة ١٩٧٤م
١٠. المفصل في تاريخ النحو - د/ محمد خير الحلواني - بدون دار نشر - ط ١ - بيروت ١٩٧٩م

مكتبة دار العلوم - جامعة القاهرة

د/ إيهاب سعود

0020-01000449225